مقدمة

الحمد لله وحده، لا شريك له ولا ند له سبحانه ما أعظمه، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة، الداعي إلى جنته ورضوانه نبينا محمد وعلى آله وصحبه وإخوانه.

أما بعد:

فلقد خلق الله سبحانه وتعالى الخلق من أصل واحد يرجعون إليه كلهم، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[1]. وقال رسول الله ﷺ - في فتح مكة -: "يا معشر قريش: إنَّ اللهَ قد أَذْهَبَ عنكم نَخْوَةَ الجاهليةِ وَتَعَظّمَهَا بالآباءِ، الناسُ من آدمَ، وآدمُ من ترابٍ"[2].

وخلق الله تعالى الإنسان اجتماعيّاً بطبعه، يحب تكوين العلاقات وبناء الصداقات، لا يستطيع اعتزال غيره من بني جنسه، بل إن سروره وسعادته في المخالطة مع الآخرين، وهو بمخالطته

هذه بحاجة ماسة إلى أن يتعامل مع غيره من الناس، وقد أكد الإسلام ذلك المعنى..

وقضية التعامل مع الآخرين من أهم القضايا التي يجب أن تتوجه إليها الجهود لمعالجتها، حيث إنها باتت كغيرها مهددة بالتَّردِّي والانحطاط، فما زال الكثير من الناس يتعاملون مع غيرهم معاملة سيئة منافية للآداب بعيدة عن المروءة والذوق.. فتردِّي الأخلاق يؤدي إلى تقطع أواصر المحبة والألفة، وبالتالي يفقد الإنسان كسب قلوب الآخرين ومودتهم.

ولا شك أن اكتساب فنون التعامل مع الناس من الوسائل والأسس النافعة والمفيدة لكسب أخٍ في الله..

فالتواصل والاتصال مع الآخرين هو الأساس في التأثير بهم وكسبهم إلى صفك، أضف إلى ذلك أن الاحتكاك بهم يعني كسب خبرات جديدة تضيفها إلى خبرتك..

وشخصية المسلم تتميز عن غيره فهو يسير في الحياة على علم وبصيرة، ويتعامل مع الآخرين بما يُحبّ أن يعاملوه به، فينطلق في تعامله من محبته لهم، وتمني الخير لهم، والدعاء لهم بكل ما يصلح حالهم ويسعدهم في دنياهم وأخراهم.

فالمسلم ليس أنانياً يريد الخير لنفسه، وليس حسوداً يتمنى زوال النعمة عن غيره، وليس حقوداً يتمنى الشر للآخرين. وهكذا كان رسول الله ﷺ، ودعوته قائمة على ذلك، والمسلم الحق من يكون كذلك فيوصل أعظم الخير إلى الناس، من هدايتهم وإرشادهم وتوجيههم ودعوتهم وكسب قلوبهم ومودتهم، وخيرية هذه الأمة قائمة على أساس هذا المبدأ، قال تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾[٣]، وقال تعالى حاثّاً على هذا الأمر: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾[٤].

وهكذا فإن شخصية المسلم تكمن في عقيدته وعبادته وتعامله مع الناس وسلوكه المبني على شمول نظرته إلى الكون والإنسان والحياة، فإذا سار بين الناس ينظرون فيه الإسلام حياً متحركاً،في آرائه وأفكاره وأخلاقه وأحكامه وسلوكه، وفي باطنه وظاهره، بعيداً عن التشبه بغيره من الكفار.

وقضية العلاقة التي تربط الناس بعضهم ببعض لا تقوم على رابطة الدم فحسب، بل هناك روابط أخرى تجمع الناس وتؤلف بينهم..، وتعتبر رابطة العقيدة هي أجل وأسمى هذه الروابط..، وهذه القضية كانت قضية الرسول ﷺ في بدء إنشاء الدولة

الإيمانية على أرض يثرب، فسمى الأوس والخزرج أنصاراً، وآخى بين المهاجرين والأنصار، مع اختلاف أنسابهم وألوانهم.. وتمت هذه المؤاخاة على أساس الإيمان والدين، وآخى بينهم تدعيماً للأخوة الإيمانية، ولا يمكن هذا التآخي إلا بالإسلام ووحدة الدين، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا** ﴾(٥).

فأصحاب النبي ﷺ الذين معه من مكة "مهاجرون"، أي الذين هاجروا في سبيل الله وابتغاء مرضاته، وأصحابه الذين في المدينة "أنصار"، ويلتقي المهاجرون مع الأنصار أخوة في الله، على دعامة الأخوة الإيمانية.. وإنما أعطى الرسول ﷺ كل مجموعة اسماً دينياً؛ لأن تحت الاسم تتحطم كلّ الحواجز، حواجز اللون، والنسب، واللغة، والأرض، والغنى..

فقامت أول مدينة إيمانية عظيمة وجدت على وجه الأرض اسمها "المدينة النبوية"، "طيبة" فحلّ بها النور الإيماني، مع وجود الكفار فيها، واليهود، إلا أنهم جمعتهم الأخوة في الله.. لو أُنفق ما في الأرض جميعاً على أن يؤلَّف بين تلك القلوب فتجتمع ما اجتمعت وما تآلفت إلاّ أن يشاء الله عز وجل، فسبحان مَنْ جَمَعَ القلوب بعد شتاتها!!

ففي عهد الرسول ﷺ ما الذي أوجد في قلوب أصحابه هذا المعنى العظيم "معنى الأخوة"؟ إنه الإيمان!!

فالمؤمن حريص على تحري الخير، وطلب الفضيلة، يدفعه الإيمان الصادق العميق إلى مكارم الأخلاق ومعالي الصفات في التعامل مع الآخرين.

ورسالته الإيمانية لا تكتمل إلا إذا سعى إلى تأكيد خصال الخير وإبرازها سلوكاً حياً، وتقليداً ظاهراً للعيان، فلا يكتفى بالدعوة إليها إنما يتمثلها سلوكاً وحياة، وهذا الجانب الإيماني تمتزج فيه العقيدة بالعمل، فتكون الرغبة في إعلاء مكارم الأخلاق دافعاً إلى إحياء معاني الأخوة وحب الخير وغيرها من الخصال السامية الرفيعة، في ديننا الإسلامي، الذي أمر بكل ما تستحسنه وتستسيغه العقول الزكية، والفطر المستقيمة، ونهى عن كل ما تستقبحه.

وأمر المسلمين بآداب وأخلاق إسلامية والتي بها تتآلف قلوبهم، وتزداد مودتهم، وتزيل ما في النفوس وما بينهم من الضغائن والحقد والبغضاء والحسد... إذ الإسلام في جوهره دعوة إلى مكارم الأخلاق، وحسن الخلق؛ لكسب الناس ودعوتهم بالتي هي أحسن، والدعاة إلى الله بحاجة إلى التعرف على فنون التعامل

مع الناس؛ ليكونوا أقدر من غيرهم على التأثير في الآخرين وكسبهم..

وبين يدي القارئ العزيز صفحات متواضعة، جمعتها، وكتبتها - غير خالية من النقص والتقصير - في هذا الكتاب الموسوم بـ"كيفَ تَكْسِبُ أخاً في الله؟"؛ محاولة مني لطرح مثل هذا الموضوع الذي لا يستغني عنه المسلم في أمور حياته، وفي دينه ودنياه، وفي تعامله مع الآخرين؛ لأنه بتحقق هذه الوسائل يسعد الفرد ومن ثم يسعى إلى إصلاح مجتمعه، ومن ثم بنائه بما أمره الله تعالى به وبما شرعه نبيه محمد ﷺ، ولكي يفوز بالأجر والثواب من الله تعالى.. ومن ثم يصل إلى كسب قلوب الآخرين ومودتهم ومحبتهم.

هذا ولا أدعي أنني احتويت كل ما في الموضوع، ولكن أُبدي ما وصل إليه علمي من بيان محاسن هذا الدين العظيم، فإني وإن كان علمي ومعرفتي تَقْصُرُ كل القصور عن إبداء بعض ما احتوى عليه هذا الدين من الجلالِ والكمالِ، وعبارتي تَضْعُفُ عن بيانه وشرحه على وجه الإجمال، فضلاً عن التفصيل في المقال، وكان ما لا يدرك جميعه ولا يوصل إلى غايته ومعظمه، فلا ينبغي أن يُترك منه ما يعرفُه الإنسان؛ لعجزه عمّا لا يعرفه، فلا يُكلّفُ الله نفساً إلاّ وسعها: ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾[٦].

ولا أنسى أن أقدم شكري لأخي الفاضل - أبي عبدالرحمن - الأستاذ/ مجدي بن محمد رشاد البعثي، والشكر موصول للأخ/ خالد بن عبدالرحمن المتعب؛ فقد كان لهما الأثر الطيب في إثراء الكتاب بالملحوظات، والتصويبات، فجعل الله -تعالى- ما قدّماه في ميزان حسناتهما.

وختاماً نسأل الله سبحانه أن يهدينا، ويعلِّمنا، ويوفقنا، ويفتح لنا من خزائن جودِهِ وكرمِهِ ما تصلح به أحوالنا، وتستقيمُ به أقوالنا وأفعالنا.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد الأمين.

كتبه /أخوكم

د. محمد بن فهد بن إبراهيم الودعان

obeikandl.com